الكنائس الإفريقية المستقلة

أ. أحمد محمد أحمد إسماعيل
باحث سوداني مهتم بالشؤون الإفريقية

ارتبط وجود حركة التبشير في إفريقيا منذ وقت بعيد بالأهداف الاستعمارية، وقد امتزجت أهداف الدول الأوروبية الطامعة في التوسع مع تطلعات القسس والآباء الكنسيين الساعية لنشر ما يعتبرونه «كلمة المسيح» وسط الأفارقة البسطاء، وهم يستبطنون النظرة العنصرية إليهم بسبب اللون الذي يجعلهم في مستوى أدنى إنسانية من الإنسان الأوروبي المتحضر، ونظرت إلى عقائدهم وطقوسهم على أنها ممارسات إنسان بدائي يفتقر إلى المعرفة والحضارة.

كرّست المسيحية، رغم انتشارها في إفريقيا، لوجود حاجز بينها وبين الإنسان الإفريقي، حتى مع الذين اعتنقوا المسيحية، فقد عاشوا أزمة هوية بين ما يفرضه عليهم المبشرون من التزام حرفي بتعاليمهم الكنسية الممتزجة بقيم الحضارة الأوروبية من جهة، وما يمليه عليهم نزوعهم إلى الارتباط بموروثهم الثقافي والاجتماعي من جهةٍ أخرى.. وتصاعدت تلك الروح مع تنامي روح الكفاح ضد الاستعمار والنضال من أجل استقلال الأقطار الإفريقية، لتظهر حركة وسط الكنائس الإفريقية تنادي بالاستقلال عن هيمنة المبشرين البيض، واحتكارهم تفسير كتابهم المقدس، واستبداله بتفسيرات جديدة تستوعب الموروث الإفريقي بالكامل داخل الكنيسة، وتبلور هذا التفكير فيما سُمّي بـ«حركة الكنائس الإفريقية المستقلة» AICs.

تمددت الحركة في المجتمعات المسيحية الإفريقية بصورة سريعة، ممثلةً حالة من الشقاق المنهجي بين تفسرين مختلفين للمسيحية، ولكن مفهومها للمسيحية الإفريقية قوبل بالرفض والاستنكار الشديد من قِبَل الكنائس العالمية والفاتيكان، ورُمي قادتها بالكفر والهرطقة، ولكن مع الانتشار السريع لأفكار المسيحية الإفريقية وسط المسيحيين، وازدياد قوتها بدعم القادة السياسيين الأفارقة، اضطرت الفاتيكان وقادة الكنائس العالمية إلى التنازل والاعتراف بها ضمن ما يُسمّى بـ«اللاهوت السياقي»، وتقبلوا الكثير من الأفكار التي تتصادم مع العقائد النصرانية الأساسية.

العلاقة بين الكنائس الإفريقية والكنيسة العالمية اتسمت، في البدايات (خلال النصف الأول من القرن العشرين)، بالصدام والمغالبة التي انتهت بانفصال الكنائس الإفريقية عن إرساليتها الأم، وعن مفاهيمها وأفكارها، ثم مضت، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إلى مرحلة جديدة من (التجسير) من خلال «الحركة المسكونية» ممثلة في مجلس الكنائس العالمي WCC، الذي استطاع أن يعيد شكلاً من أشكال تلك العلاقة المنفصمة، باستيعاب الكنائس الإفريقية المستقلة في بطنه من خلال ممثله الإفريقي AACC.

تتناول هذه الدراسة «حركة الكنائس الإفريقية المستقلة»؛ من حيث النشأة، والمفاهيم الأساسية، وتأثير الاستعمار في تبلور فكرة المسيحية الإفريقية التي تبنتها الكنائس الإفريقية، وانعكاس ذلك على العلاقة بينها وبين كنائس الإرساليات الغربية، أو ما يسمى بالكنائس الأم أو كنائس الخط الرئيس، وعلى علاقتها بحركة التبشير العالمي، كما تحاول الدراسة استعراض ما آلت إليه الأمور بالنسبة للحركة، وصلتها بالمؤسسات الكنسية العالمية، في أعقاب حصول الدول الإفريقية على استقلالها.

تهدف الدراسة إلى استكشاف العناصر المؤثرة، التي أدت إلى بروز فكرة «المسيحية الإفريقية» التي تبنتها الكنائس الإفريقية المستقلة، وعلاقة ذلك بأسلوب المبشرين الأوائل في التعامل مع الإنسان الإفريقي، بجانب ارتباط ذلك بالطبيعة الخاصة للمجتمعات الإفريقية التقليدية، وما يعنيه مفهوم الدين عندهم، كما تهدف إلى إلقاء الضوء على التغييرات الكبرى التي شهدتها الديانة المسيحية، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وتأثير ذلك في ميلاد المسيحية الإفريقية، وعلى درجة تقبُّل الكنائس العالمية للكنائس الإفريقية المستقلة في الأدوار المتأخرة.

وتحـــاول الإجابة عن الســـؤال الآتي: هل أثرت حركة الكنائس الإفريقية المســـتقلة، التي مزجت المعتقـــدات الإفريقية المحلية بالإيمان المســـيحي، فـــي المفاهيم الأساســـية للديانة المســـيحية، وما أثر ذلك التأثير- إن وجد- في مستقبل حركة التبشير العالمي؟.

أولاً: مدخل مفاهيمي:

١) المسيحية الإفريقية:

«المســـيحية الإفريقيـــة»، أو الحركـــة «الإثيوبيانية»، هي مســـميات توصف بها ظاهرة دمج المعتقدات والطقـــوس والرموز الإفريقية في الإيمان المسيحي، بشكل يعبّر عن شخصية الإفريقي، وقد برز هذا التيار داخل المسيحيين الأفارقة، منـــذ بدايات القرن العشـــرين، أثناء فتـــرة النضال ضد الاســـتعمار الأوروبي، حيث شهدت إفريقيا، في ذلك الوقت، بدايات للوعي القومي، واكتسب هذا الحراك زخماً مع مساعي إعادة الهوية الثقافية الإفريقية، وكان من ضمن النخبـــة الإفريقية التي قادت هذا الاتجاه بعض رجال الدين الأفارقة، الذين ســـعوا إلى استعادة الرموز الإفريقية المحلية، التي يمكن دمجها في إيمانهم المسيحي.. وانتهى إلى النضال لتحرير عدد كبير من الكنائس الإفريقية عن الإرساليات الأوروبيـــة، واختطاطها نهجـــاً خاصّاً بها، فيما عُرف بحركة الكنائس الإفريقية المســـتقلة أو المبتدئة.

أمـــا «الإثيوبية»؛ فهو مســـمى أطلقه القادة الأوائل للمسيحية الإفريقية على حركتهم، مثلما أطلقوا مســـمى «كوش»، للدلالة على استقلالهم عن الكنائس الغربية، باســـتخدامهم الإشارات الإفريقية الواردة في الكتاب المقدس.

وترى فريدا إيهموان Freda Ehimuan، وهـــي لاهوتية إفريقية مختصـــة في الروحانية التطبيقية، أنه «بالنسبة للأفارقة؛ من المستحيل فصل الممارســـات المســـيحية عـــن خلفيتهم الثقافية، كان هذا خطأ المبشرين الذين جاؤوا للتبشـــير في إفريقيا، كان جعل المسيحية ديناً ينأى بنفســـه عن الطقـــوس والأدوات الدينية الإفريقيـــة عائقاً كبيراً»، وتضيف «ســـمعت أنه خلال سينودسهم؛ قال الأســـاقفة الأفارقة: إن «المســـيحية منتشـــرة في إفريقيا؛ ولكن الجلد عميق»»[١].

ومع احتـــدام الجدل حول أســـئلة الهوية؛ طُرحت أسئلة تتعلق بكونك إفريقيا ومسيحياً.. وفي هذا السياق أعاد بعض رجال الدين الأفارقة أمثـــال أماكامبـــا amaqaba وأماغوبهـــوكا amagqobhoka تعريف «الإيمان المسيحي» مـــن وجهة نظر إفريقية، وأكـــدوا أنه «لا يوجد تضارب بين ممارســـة الطقوس الإفريقية، وبين أن تكون مســـيحياً».. ثم جادلوا بأن الأفارقة لم يعبدوا أســـلافهم كما اعتقد المبشرون، ولكنهم كرّمـــوا أســـلافهم، وكانوا كذلك علـــى الدوام، وقالوا: إن الأســـلاف الأموات مجرد وســـطاء، ينوبون عنهم في التوســـط لـــدى الكائن الأعلى (الخالـــق)، وأن الاحتفالات ما هي إلا وســـيلة لاسترضاء الأسلاف لنقاش الخالق نيابةً عنهم.

فيمـــا جادل ســـايمون كيمبانغـــو Simon Kimbangu لإثبـــات أن عيســـى عليـــه السلام (يسوع) كان أســـود.. وقام بوضع رموز لكنيســـته مختلفة عن تلك التي لدى الكاثوليك والبروتســـتانت الأوروبيـــن، وكان ينظـــر إلى الممارسة الشـــائعة المتمثلة في وضع الصلبان والأيقونات فـــي الكنائس على أنها شـــكل من

(١) Freda Ehimuan, In Africa, cultural expressions An Article in: ,accompany Christian practices https://www-globalsistersreport-org.translate, .Jul 13, 2021

أشكال عبادة الأصنام[1].

٢) المسكونية:

مصطلح «المسكونية» Ecumenism يعني الدعوة إلى توحيد الكنائس تأسيساً على المبادرات الهادفة إلى زيادة التنسيق والتعاون المسيحي، بحيث تكون هناك كنيسة مسيحية واحدة. وهو مصطلح مشتق من الكلمة من اليونانية οἰκουμένη oikoumene، التي تعني «العالم المسكون بأكمله».

وتقوم المسكونية على فكرة أن جميع المسيحيين، وإن اختلفوا في عقائد كثيرة، متفقون على الالتفاف حول شخص يسوع المسيح والاعتراف به ربّا ومخلّصاً.

٣) الخمسينية والعنصرة:

«الخمسينية» هي حركة مسيحية بروتستانتية، تعود جذورها الأولى إلى القرن التاسع عشر، ولكنها نمت بسرعة خلال القرن العشرين، ولا تزال تكتسب أتباعاً بسرعة اليوم، وتقوم على الاعتقاد بربوبية المسيح عليه السلام، وتؤمن بعودته الثانية، وتؤكد على الخبرة المباشرة مع الله من خلال المعمودية، وأن المسيحيين المؤمنين الذين يمتلئون بالروح القدس يمتلكون القدرة على صنع المعجزات وشفاء الناس.

وتُعدّ الخمسينية امتداداً لحركة القداسة من الميثودية، التي ظهرت في القرن التاسع عشر، وكان اعتقادها الأساسي هو أن فعل النعمة الثاني بعد التحول إلى المسيحية يمكن أن «يقدس» المسيحيين ويزيل رغبتهم في الخطيئة.

وتؤمن الخمسينية بأنه يجب نشر كلمة

(١) علي مزروعي، «الدين والثقافة السياسية في إفريقيا»، مجلة الأكاديمية الأمريكية للدين، المجلد ٥٣، لا. ٤، ١٩٨٥م، ص (٨١٧-٨٣٩). JSTOR /www.jstor.org stable/1464277.

العلاقة بين الكنائس الإفريقية والكنيسة العالمية اتسمت، في البدايات (خلال النصف الأول من القرن العشرين)، بالصدام والمغالبة التي انتهت بانفصال الكنائس الإفريقية

المسيح وسط الأمم بلغات متعددة، مثل المسيحيين الأوائل الذين تلقوا مواهب الروح القدس، وكان من بين هذه الهدايا القدرة على التحدث بلغات أخرى حتى يتمكنوا من نشر المسيحية في جميع أنحاء العالم.

وتعود كلمة خمسينية Pentecostalism إلى اعتقاد أتباعها بأن الروح القدس حلّ على التلاميذ (الحواريين) في اليوم الخمسين من قيامة المسيح، وأنه بالتالي يحل على الناس جميعاً.

أما مصطلح (عنصرة) فهو مشتق من «عيد العنصرة»، وهو حدث يحيي ذكرى نزول الروح القدس على أتباع المسيح، والتحدث بألسنة «أجنبية»، كما هو موصوف في الفصل الثاني من أعمال الرسل، في اليونانية هو اسم عيد الأسابيع اليهودي.

وكلمة «عنصرة» Pentecost هي لفظة عبرانية معناها: اجتماع أو محفل، واستخدمت الكلمة «عنصرة» لتشير إلى عيد الخمسين اليهودي الذي كان يجتمع فيه كل ذكر من اليهود من كل بقاع الأرض إلى أورشليم للاحتفال بالعيد، ويقع بعد سبعة أسابيع كاملة من عيد الفصح اليهودي، وهو أحد الأعياد الثلاثة الكبرى التي كان يتحتم على كل ذكر من الشعب الإسرائيلي أن يذهب فيها إلى أورشليم، ليمثل

أمام الرب، ويقدّم تقدمته للرب.

كما أطلقت الكلمة أيضاً على عيد الخمسين المسيحي الذي فيه حل الروح القدس على المجتمعين في علية صهيون، فصار يُدعى في العهد الجديد «عيد العنصرة» في العبرية، أو «عيد البنديكوستي» في اليونانية[١].

تطورت الخمسينية إلى جهد تبشيري دولي على الفور تقريباً، انتشرت الحركة أولاً بين المجتمعات العرقية في أمريكا الشمالية، وتم نقله بسرعة إلى أوروبا. بحلول نهاية عام ١٩٠٦م بدأ العمل التبشيري في النرويج، وفي عام ١٩٠٧م وصل إلى بقية الدول الإسكندنافية وألمانيا وإيطاليا وهولندا، كما انتشرت في المكسيك، وتطورت حركة الكنيسة الناطقة بالإسبانية هناك وفي جنوب غرب الولايات المتحدة، وفي بقية أمريكا اللاتينية، حيث أصبحت شائعةً بشكلٍ خاص في العقود الأخيرة من القرن العشرين.

ثانياً: عوامل ظهور تيار الكنائس الإفريقية المستقلة AICs:

أ) القساوسة الأفارقة:

كان المبشرون يعتقدون في بداية تواجدهم في إفريقيا أن المدنية الغربية والدين المسيحي وحدة لا تتجزأ، ولذلك أطلقوا عليها تسمية مفردة هي «المدنية المسيحية»، ولم يكونوا ينظرون إلى الديانات الوثنية الزنجية إلا على أنها خليط من العادات أو الخرافات الشيطانية التي تقشعر لها الأبدان فاحتقروها، وانصرف همهم إلى اقتلاعها ومحوها من نفوس الزنوج، لكي يشيدوا في مكانها الصرح الثقافي الذي نشأ بعيداً عن شواطئ إفريقية، بعدها قامت وجهة نظر جديدة تدعمها دراسة الأجناس، وهي على النقيض من النظرية القديمة، والأب أوبيس P. Aupiais هو من أوائل مَن نادى بتلك الفكرة، فكرة «تقدير العقائد الوثنية».

وهي فكرة تقوم على أن لكل حضارة قيمتها الخاصة بها، ولهذا كان من واجب المسيحية ألا تعمل على محوها، وإنما يجب أن تعمل على التغلغل فيها بدراستها حتى تستغل بذورها الصالحة، وذلك بتفهم نفسية الزنوج، وجعل عاداتهم القديمة عادات مسيحية[٢].

مهدت هذه الرؤية لعملية استقلال الكنائس الإفريقية، وأفرقة المسيحية، وفي هذا الإطار تمت ترجمة الكتاب المقدس والتعليمات الدينية إلى لهجة السكان، فقد تُرجمت أجزاء من الكتاب المقدس إلى لغة الزولو العامية، وتمت طباعتها بمجرد أن اكتسب المبشرون معرفةً معقولة باللغة[٣].

قبل الترجمة كان للإرساليات نفس السيطرة المطلقة على الكتب المقدسة التي مارستها على الكنيسة، هم وحدهم الذين تمكنوا من الوصول إلى المصادر العبرية واليونانية؛ كان تفسيرهم نهائياً. ولكن مع نشر الترجمات الإفريقية؛ حدث تغيير مهم: أصبح من الممكن الآن التمييز بين آراء البعثات والكتب المقدسة[٤]، لكن بعد

(١) قاموس المصطلحات الكنسية، موقع الأنبا تكلا هيمانوت:
https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/6-Coptic-Terminology_Ein-Ghein-Feh/3ansara__Penticost.html

(٢) الديانات في إفريقيا السوداء، هوبير ديشان، المركز القومي للترجمة، ص (١٧٢-١٧٤)، ٢٠١١م.

(٣) THE HISTORICAL SOCIOLOGY OF INDEPENDENT- CHURCHES IN SOUTH EAST AFRICA-N. A. Etherington- Journal of Religion in Africa-Vol. 10, Fasc. 2 (1979)-p.113.

(٤) The Rise of Independent African Churches, 1890-1930: An Ethical-genesis of Nigerian Nationalism-September 2011 African Research

الترجمة بدأ يختلف تصور «الله» عند الأفارقة، وشعروا أن الكتب المقدسة التي تخاطبهم باللهجة العامية كرّست روح شعوبهم.

وقد ألقت تلك الوسائل الجديدة أعباء كبيرة على عاتق المبشر، فلم تعد مهمته مقصورةً على التبشير، بل فرضت عليه واجبات إدارية لتنظيم شؤون الجماعة، والعمل على إدخال شعور المسيحية في قلوب أفرادها. ولذلك أصبح القسيس الأبيض في حالة عجز عن أداء تلك الواجبات بمفرده، وصار من الضروري أن يستعين بعدد من المساعدين من أهالي البلاد؛ فمدرسو المدرسة، ورؤساء الجوالة، ومراقبو العبادات في الأحراش، هؤلاء المساعدون كلهم من أهل البلاد: ومهمتهم ارتياد الجهات النائية عن المدينة والقرية للتأكد من أن سكانها يحافظون على مسيحيتهم، وأنهم لا يتهاونون فيها، ولإقامة الشعائر بينهم، وبذل النصيحة لهم والدفاع عنهم.

وشعرت الكنيسة عند ذلك بوجوب اتخاذ خطوة جديدة بتعيين قساوسة من الإفريقيين، حتى يدرك الأفارقة أن الكنيسة ليست حكراً على الرجل الأبيض.

وكان البروتستانت في جنوب إفريقيا وساحل غينيا هم أول من نادى بتلك الفكرة، وتبعهم الكاثوليك بعد ذلك في القرن العشرين، وشجّع على ذلك البابا (بيوس الحادي عشر) والبابا (بيوس الثاني عشر)، حتى تخرّج عددٌ من الأساقفة الأفارقة، وأصبحت هناك مدارس تُخرّج أفواجاً من القساوسة الأفارقة[1]، كان لهؤلاء القساوسة الأفارقة دورهم فيما بعد في استقلال الكنائس الإفريقية.

ب) تأثير الحركة الخمسينية:

وصلت الخمسينية إلى إفريقيا في فترة مبكرة من بداية القرن العشرين، حيث بدأت في جنوب إفريقيا في عام ١٩٠٧م، وقد انضم إليهم في عام ١٩١٤م مبشرون من جمعيات الرب، وكان «نيكولاس بنغو»، اللوثري السابق الذي انضم إلى جمعيات الرب، أول مبشر إفريقي كبير من مواليد الخمسينية[2].

وأدى ظهور الحركة الخمسينية إلى تكوين كنائس جديدة سريعة النمو، وأحدثت أيضاً تحولات جذرية في العديد من الكنائس التي أسستها الإرساليات الغربية، حيث وجد الأفارقة تقارباً بين الأفكار التي تدعو إليها الخمسينية، مثل فكرة «الميلاد الثاني» التي تعني أن اعتناق المسيحية هو «الميلاد الثاني للإنسان»، وفكرة «القداسة وحلول الروح القدس» التي ترى أن مواليد المسيحية يمكن أن يحل فيهم الروح القدس كما حل في الحواريين تلاميذ المسيح عليه السلام، ومن ثَمّ يمكنهم التمتع بمواهب جليلة، مثل التنبؤ وشفاء المرضى والقدرة على صنع المعجزات، وهي أفكار تشبه إلى حدٍّ كبير بعض المعتقدات الإفريقية، مثل العلاقة بأرواح الأسلاف، والعلاقة بين عالم الموتى وعالم الأحياء، وموهبة المعالجين والسحرة المحليين وقدرتهم على شفاء المرضى، والتنبؤ وصنع المعجزات، إلى غير ذلك من الأفكار التي مهدت بشكلٍ كبير لتبلور أفكار المسيحية الإفريقية، والتمرد على أفكار كنائس الإرساليات الغربية الأولى.

---

(١) الديانات في إفريقيا السوداء، مرجع سابق، ص (١٧٢-١٧٤).

.Review- p.486

(٢) يسمي المسيحيون اعتناق غير المسيحيين للمسيحية «ميلاداً ثانياً»، لذلك يُطلق عليه صفة مولود الطائفة التي عمدته.

وكان من نتائج ذلك؛ أن تشكل تياران في أوساط الكنائس الإفريقية، الأول يمثل تيار الإرساليات الغربية، وهو ما يُعرف بـ«كنائس الخط الرئيس» Mainline Churches MC. والتيار الثاني المدافع عن الموروث الإفريقي داخل المسيحية بوصفه قضية هوية، ويتمثل في «الكنائس الإفريقية المستقلة»[١] African Independent Churches AICs، وناضل أنصار هذا التيار من أجل إنتاج نسخة من المسيحية خاصة بإفريقيا.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية؛ برزت حركة الكنائس الإفريقية المستقلة، وفرضت وجودها كتيار عريض جداً لا يمكن تجاهله أو رفضه، وأصبحت الخمسينية حركة جماهيرية منتشرة في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى[٢].

ج) بدايات الكنائس الإفريقية المستقلة:

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ بدأت الكنائس الإفريقية المستقلة تتشكل كظاهرة، ففي عام ١٨٨٨م انفصل المبشر «جوزيف ماثوني كانيان نابو» عن الكنيسة الأنجليكانية في جنوب إفريقيا، وأنشأ كنيسة إفريقيا، أو «الكنيسة الإفريقية»، في بريتوريا، في تعبير عن عدم الرضا عن سيطرة البيض على الكنيسة، وكانت الكنيسة التي أنشأها هي الأولى التي يقوم بتشكيلها وقيادتها الأفارقة في جنوب إفريقيا، وكانت محاولة لإثبات أنه يمكن أن تكون هناك كنيسة إفريقية بالكامل مبنية بدون مساعدة المبشر، على الرغم من أنه حافظ على العبادات والمذاهب الموجودة في الكنائس الأنجليكانية[٣].

ثم تبعه «مانجينا ماكي موكون» في عام ١٨٩٢م، في تشكيل فرع جديد، وكوّن ما يُعرف باسم «الكنيسة الإثيوبية في جنوب إفريقيا»، في تعبير عن رفضه للفصل العنصري في الكنيسة، ونقص الزمالة بين القسيسين السود والبيض، ورفع خلال مواعظه شعار «إفريقيا للأفارقة»، الذي كانت فيما بعد أحد أعمدة الرابطة العالمية لتنمية الزنوج وعصبة المجتمعات الإفريقية[٤].

وبعد ذلك تنامت انشقاقات الأفارقة عن الكنيسة الأنجليكانية، وتوسعت الحركة التي بدأها «نابو» و«موكون» بانضمام عدد كبير من الأساقفة إليهم، وانتشرت كنيستهم، التي أطلقوا عليها اسم «الإثيوبية»، وسط شعب الزوشا Xhosan على نحوٍ خاص، ثم ما لبثت أن تمددت إلى خارج حدود جنوب إفريقيا، بل تجاوزت الجنوب الإفريقي كله، إلى شرق إفريقيا وغرب إفريقيا، وتبلورت فيها الأفكار الخاصة بالمسيحية الإفريقية، التي تستلهم التراث والثقافة الإفريقية وتدرجها ضمن السياق الإنجيلي.

هذا الاتجاه الأخير هو الذي أصبح، خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، يشكل قوة كبيرة، أجبرت قيادة الكنيسة العالمية، بما في ذلك الفاتيكان، إلى تقديم كثيرٍ من التنازلات في

(١) L.Ntombana, The Trajectories of Christianity and African Ritual Practices: The public Silelance The Dilemma of Mainline or Mission Churches, Acta Theologica, 2015: http://www.ufs.ac.za/ActaTheologica

(٢) انظر:
https://delphipages.live/ar/%D9%85%D8%AA%D9%81%D8%B1%D9%82%D8%A7%D8%AA/international-growth-of-pentecostalism

(٣) Napo, Joseph Mutunye Kanyane (1860-1920s), dictionary of African christian biography, https://dacb.org/stories/southafrica/napo-joseph

(٤) Mokone, Mangena Maake (B) 1851-1936 the previous source.

أصول المسيحية، عقائد وشعائر، في محاولةٍ لإرضاء أصحاب هذه النزعة القومية.

وفي هذا الإطار؛ سُمح للمسيحي بتعدد الزوجات إلى ما لا نهاية، وسُمح له بممارسة السحر، والتطبب به، كما سُمح له بالاحتفاظ باعتقاداته حول أرواح الأسلاف وتأثيرهم في الحياة، وفي إطاره تقبلت الكنيسة وجود الوسطاء الروحيين والمتنبئين بين قادة الكنيسة الإفريقية.

وفي هذا السياق؛ أُعيد تعريف معنى «الإيمان المسيحي»، حيث وَجد بعض رجال الدين الأفارقة أمثال «أماكامبا» amaqaba و«أماغوبهوكا» amagqobhoka أنه «لا يوجد تضارب بين ممارسة الطقوس الإفريقية، وبين أن تكون مسيحياً».. ثم جادلوا بأن الأفارقة لم يعبدوا أسلافهم كما اعتقد المبشرون، ولكنهم كرّموا أسلافهم، وكانوا كذلك على الدوام، وقالوا: إن الأسلاف الأموات مجرد وسطاء، ينوبون عنهم في التوسط لدى الكائن الأعلى (الخالق)، وأن الاحتفالات ما هي إلا وسيلة لاسترضاء الأسلاف للحديث مع الخالق نيابةً عنهم.

وجادل الأعضاء في هذه الكنائس بأن الكتاب المقدس لم يجرِّم علانيةً ممارسات مثل تعدد الزوجات، ورأوا أنه مقبول، وفقاً لتفسيرهم لبعض المعلومات التي وردت في العهد القديم.. كما أدمجوا ممارساتهم الخاصة للعلاقات مع الأشياء والأفعال، مثل الرقص والغناء[١].

واتهموا المبشرين والإرساليات بتضليل الأفارقة من أجل أجندة التغريب التي يحملونها، وبالتالي وصفوا الممارسات الإفريقية التقليدية بأنها «الشر» أو «الوثنية».

د) من النضال ضد الاستعمار إلى الاستقلال:

يرى الباحث بيني م. سوننبرغ Penny M. Sonnenburg أن المسيحية هي أكثر الديانات ارتباطاً بالاستعمار، لأنها كانت الديانة الرسمية للقوى الأوروبية المنخرطة في المشاريع الاستعمارية على نطاق عالمي[٢]، بينما يؤكد ماتسوبان جي منالا، أستاذ الفلسفة وعلم اللاهوت العملي والمنهجي بجامعة بريتوريا بجنوب إفريقيا، أن المبشرين كانوا بحكم الواقع عملاء للقوى الاستعمارية التي أخضعت انتشار المسيحية للإمبريالية الثقافية والسياسية[٣].

وفي الجنوب الإفريقي؛ كانت الإرساليات الهولندية الأولى تؤمن بدونية العرق الأسود، ونظرت إليه باستعلاء، مما تسبب في فشلها في نشر المسيحية بين الأفارقة، وظهر تيار استئصالي، مثّله مبشرون أمثال جورج اشميدت، يؤمن بمبدأ استئصال العرق الأسود[٤].. وبهذا المنطق ارتُكبت المجازر بحق الوطنيين تحت سمع وبصر الكنيسة، واختُطف مئات الآلاف من الإفريقيين من قراهم الآمنة، بمباركة الكنيسة، ليباعوا عبيداً في أسواق الأمريكيتين.

---

(١) بول كولمان، «تصنيف المسيحية الإفريقية: الماضي والحاضر والمستقبل: الجزء الأول»، مجلة الدين في إفريقيا، المجلد ٤٠، لا. ١، ٢٠١٠. www.jstor.org/stable/20696840 pp.3–32.

(٢) Penny M. Sonnenburg Colonialism: an international, social, cultural, and political encyclopedia, Melvin E (2003), Volume 1, Page 496.

(٣) Mtuze, PT,The essence of Xhosa spirituality and the nuisance of cultural imperialism, (Hidden presences in the spirituality of the Eastern Cape and the impact of Christianity on them). Florida Hills: Vivlia 2003.

(٤) حسن مكي محمد أحمد، المشروع التبشيري في السودان ١٨٤٣–١٩٨٦م، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم ١٩٩١م، ص (١٠-١١).

وبهذا المنطق نفسه كان تعامل الكنيسة مع الثقافة والأعراف الاجتماعية الإفريقية، فقد كانت في نظرها ترهات يجب إلقاؤها في المزبلة، وكما يقول ماتسوبان جي منالا: «كان الكثير من أساليب الحياة في إفريقيا مستهجناً، إن لم يكن شيطانياً بالكامل»[١]، وهو ما كان يثير حفيظة الوطنيين الأفارقة، فيقومون بقتل المبشرين، فتتخذ الدول الاستعمارية مقتل ذلك المبشر ذريعة للتدخل والسيطرة على الأرض ومقدراتها، بوصفها حقاً توراتياً.

وفي مرحلة لاحقة؛ ربط الاستعمار التنمية والتعليم والخدمات بنشر المسيحية، فالمناطق التي يتقبل أهلها الإرساليات، ويقبلون على الدخول في المسيحية، هي التي تُنشأ فيها المدارس والمرافق الصحية والمستشفيات، وتشهد تنمية وعمراناً، وتُفرض فيها المسيحية ممزوجة بمفاهيم الحضارة الغربية، مع ازدراء الثقافة المحلية، وفي المدن كانت المدارس الكنسية هي السبيل الوحيد للحصول على وظائف والوصول إلى مكانة اجتماعية مميزة.

والخلاصة: أن الإرساليات المسيحية ركزت على نشر مسيحية تستهجن تقاليد الإفريقيين وأسلوب حياتهم، وحاولت إحلال مفاهيم التبعية للحضارة الغربية محل الثقافات المحلية، واستخدمت في ذلك أدوات السلطة الاستعمارية لقسر الأفارقة على اعتناق ذلك النوع من المسيحية.

وكان حضور الكنائس الإفريقية في النضال ضد الاستعمار مبكراً، منذ أن كان يأخذ شكل المقاومة والانتفاضات الشعبية والتمرد العشائري ضد سياسيات الاستيلاء على الأراضي والجبايات التي انتهجها الاستعمار ضد الوطنيين الأفارقة في بدايات القرن العشرين، إلى أن تطورت إلى حركات وأحزاب سياسية تنتهج نهج المغالبة والضغط السياسي، لنيل حقوق متساوية مع المستوطنين الأوربيين في بداية الأمر، ثم تطورت إلى حركات للمطالبة بالاستقلال، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

ففي بدايات القرن العشرين؛ بدأت حركات المقاومة في البروز في إفريقيا. وفي المستعمرات التي تضم عدداً متزايداً من المستوطنين، أدى الطلب على المزيد من الأراضي والعمالة إلى زيادة التوترات بين الوطنيين من جهة والسلطات الاستعمارية والمجتمعات البيضاء التي استقرت في المستعمرات من جهةٍ أخرى، وانتزعت السلطات الاستعمارية المزيد من الأراضي من الأفارقة ومنحتها للأوروبيين ليستوطنوها!.. ورداً على هذه التطورات؛ قام بعض الزعماء بتنظيم انتفاضات ضد السلطات الاستعمارية، مثل زعيم الزولو «بامباثا» الذي قاد تمرداً مسلحاً ضد السلطات البريطانية الاستعمارية، وانتهى بسحقه وقتله مع ثلاثة آلاف من أتباعه[٢]، ومثل ثورة «ماجي ماجي» في شرق إفريقيا الألمانية (١٩٠٥-١٩٠٧م)[٣].

وأول بروز لمشاركة الكنائس الإفريقية في النضال ضد الاستعمار، كان في انتفاضة نياسالاند (ملاوي)، حيث لعبت الكنيسة المسيحية، وكنيسة السبتيين بقيادة القس جون

(١) Matsobane J Manala, The impact of Christianity on sub-Saharan Africa, Studia Historiae Ecclesiasticae, vol.39 n.2 Pretoria Feb. 201.

(٢) The fight against colonialism and imperialism in Africa, without auther, https://www.sahistory.org.za/article/fight-against-colonialism-and-imperialism-africa

(٣) The Organization of the Maji Maji Rebellion John Iliffe, The Journal of African History, Vol.8, No.3 (1967), pp. 495–512.

تشيلمبوي، دوراً مهماً في تنظيمها وتنفيذها ضد السلطة الاستعمارية في تلك الفترة المبكرة. وقاد القس جون تشيلمبوي هذه الانتفاضة للاحتجاج على زيادة ما سُمي بـ«ضريبة الكوخ» عام ١٩٠٩م، بجانب ممارسات العمل غير العادلة في العقارات المملوكة للبيض، وضد مشاركة الأفارقة في الحرب العالمية الثانية، حيث لاحظ تشيلمبوي أن الأفارقة كانوا هم الذين يتعرضون للموت أكثر من غيرهم، فكتب رسالة إلى صحيفة Nyasaland Times ينتقد فيها فكرة أن المشاركة في الحرب ستحسن الأمور بالنسبة للأفارقة في نياسالاند.

وفي ٢٣ يناير ١٩١٥م نظم جون تشيلمبوي تمرداً مسلحاً ضد الحكومة الاستعمارية، حيث هاجمت مجموعة مسلحة من الرجال عقار ليفنجستون، بينما هاجمت مجموعة أخرى عقار بروس، وأرسل مجموعة ثالثة لمهاجمة مستودع أسلحة بلانتير في محاولة للحصول على أسلحة لثورة مسلحة في العاصمة زومبا للإطاحة بالحكومة الاستعمارية، ولكن الهجوم على المستودع فشل وفشلت معه الثورة، التي انتهت بمقتل جون تشيلمبوي بالرصاص أثناء محاولته الهروب من نياسالاند[١].

وفي الكونغو كينشاسا؛ تعرّض سايمون كيمبانغو Kimbangu، أشهر دعاة المسيحية الإفريقية، للسجن، الذي قضى فيه ما تبقى من حياته، حيث اعتبرته السلطة الاستعمارية البلجيكية مخرباً، بسبب آرائه الدينية والسياسية، وطرحه نفسه نبياً ومعالجاً ووسيطاً روحياً ممتلئاً بالروح القدس، وهو ما شكّل تهديداً للحكومة الاستعمارية البلجيكية

حركة التبشير العالمي استطاعت احتواء انشقاق كنائسها في إفريقيا، باستخدام المفاهيم المطاطة للحركة المسكونية والخمسينية

والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، خاصة مع النمو الكبير لأتباعه الذين تجاوزوا العشرة آلاف في أقل من ستة أشهر، فقُدّم لمحاكمة عسكرية، ولم يُسمح له بالدفاع عن نفسه، وجُلد، ثم حكم عليه بالإعدام، ولكن الملك البلجيكي خفف العقوبة إلى السجن المؤبد، قضى كيمبانغو بقية حياته في السجن، وتم ترحيله إلى الجانب الآخر من البلاد، ولم ير زوجته أو أبناءه الثلاثة مرةً أخرى، حتى توفي عام ١٩٥١م، وذهب أتباعه تحت الأرض، وتم حظر الحركة التي بدأها من قِبَل الإدارة الاستعمارية. وتولت قيادة الحركة، إلى حد كبير، زوجة كيمبانغو، وعندما ظهرت في النهاية، بعد خروج الاستعمار، أعادت الحكومة الوطنية توحيدها، وبلغ عدد أعضائها عدة ملايين[٢].

ثالثاً: الكنائس الإفريقية المستقلة: من التيارية إلى التنظيم:

في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، عندما بدأت الدول الإفريقية في نيل استقلالها، ظهرت الكنائس الإفريقية المستقلة AICs كمجتمعات إفريقية لها تاريخها النضالي ضد

(١) The fight against colonialism and imperialism in Africa, previous source.

(٢) MICHAEL HARPER, An African way: the African Independent churches, www.christianityto-day.com/history/issues/issue-9/

الاستعمار، وعلى هذا الأساس قامت الحكومات الجديد بالاعتراف بها، فعلى سبيل المثال في بتسوانا، التي حصلت على استقلالها عام ١٩٦٦م، جاء الاعتراف من خلال قانون الجمعيات لعام ١٩٧٢م الذي طالب بتسجيل الكنائس كمجتمعات، وأدى ذلك إلى تسجيل العديد من AICs والاعتراف بها رسمياً من قِبَل حكومة بوتسوانا باعتبارها تعبيرات أصلية عن الإيمان المسيحي[١].

أ) المسكونية Ecumenism:

تأسست الحركة المسكونية فعلياً عام ١٩٣٧م، من قِبَل جماعاتٍ بروتستانتية في معهد princeton اللاهوتي في أمريكا[٢]، على فكرة الدعوة لتوحيد المسيحيين على اختلاف عقائدهم وطوائفهم، حول شخص المسيح والاعتراف به رباً ومخلصّاً.

ورغم أنها نشأت ونشطت وسط البروتستانت والأرثوذكس دون الكاثوليك، ولكن قيادة الكاثوليك في العالم، ممثلة في الفاتيكان، اضطرت للقبول بها والتعامل معها لأغراض فض التنازع بين الكنائس والإرساليات التي كانت تنشأ في المناطق المستهدفة بالتبشير، هو ما دفع المجمع الفاتيكاني الثاني إلى إصدار قرار بعدم اعتبار غير الكاثوليكيين «منشقين»، وقال في قراره المعنون بـ«في الحركة المسكونية»:

«إن الذين يولدون في حضن تلك الكنائس ويحيون من الإيمان بالمسيح لا يمكن أن يطالبوا بخطيئة انفصال، لذلك تشملهم الكنيسة الكاثوليكية بالاحترام الأبوي والمحبة، إذ إن الذين يؤمنون بالمسيح وقبلوا المعمودية قبولاً صحيحاً هم على الشركة، وإن غير كاملة، مع الكنيسة الكاثوليكية»[٣].

وقد مثلت هذه الحركة قاعدة متينة للإرساليات التبشيرية الغربية في إفريقيا وغيرها، لفض الاشتباكات التي كانت تقع بينها بسبب الصراع على مناطق النفوذ، كما مهدت لإنشاء ما يُسمى بـ«مجلس الكنائس العالمي».

ومن جهةٍ أخرى؛ ساهم انتشار مفاهيم الحركة المسكونية وسط الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية حول العالم في دعم اتجاهات التجمع الكنسي، ولأن مفاهيم «الخمسينية» تشكل عصب الكنائس الإفريقية المستقلة؛ فقد اتجهت تلك الكنائس في عموم إفريقيا إلى التجمع والاتحاد.

ب) مجلس الكنائس العالمي:

في فترة مبكرة من ظهور الحركة المسكونية، وعلى وجه التحديد في سنة ١٩٤٨م، تأسس مجلس كنائس عالمي World Council of Churches، الذي يُعرف اختصاراً بـ WCC، ويضم معظم الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية الشرقية، وليس من ضمن عضويته الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وإن كانت موجودة فيه بصفة مراقب، ويقع مقره في جنيف بسويسرا.

ويضم مجلس الكنائس العالمي عدداً

(١) Obed Kealotswe, The Nature and Character of The African Independent Churches (AICs) in the 21st Century: Their Theological and Social Agenda, Studia Historiae Ecclesiasticae, December 2014, 40(2), 227-242

(٢) بدون مؤلف، الحركة المسكونية، مقال منشور على صفحة أرثوذكسيون لتطهير العالم من الهرطقة المسكونية، على الرابط: https://www.facebook.com/541763242593537

(٣) المطران كيرلس سليم بسترس، مقالات في اللاهوت والحركة المسكونية، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١م، ص٧٧.

كبيراً من الطوائف التي يتبعها أكثر من ٥٩٠ مليون شخص في العالم، منتشرين في ١٥٠ دولة، وتتضمن ٥٢٠ ألف أبرشية، يخدمها ٤٩٣ ألف من الكهنة والمعلمين واللاهوتيين.

وسجل مجلس الكنائس العالمي وجوده الرسمي في إفريقيا بعد أن انضم إليه ما يُسمّى بـ«مؤتمر عموم كنائس إفريقيا» AACC، الذي تأسس في العام ١٩٦٣م[١].

ج) منظمة الكنائس الإفريقية المستقلة OAIC:

وفي العام ١٩٧٨م؛ دعا البابا شنودة الثالث من الكنيسة القبطية عدداً من قادة الكنائس الإفريقية المستقلة AICs من جميع أنحاء القارة لحضور اجتماع في القاهرة، في مسعى لتوفير منتدى للزمالة ومشاركة الاهتمامات والتعلم معاً، وأسفر الاجتماع عن تأسيس «منظمة الكنائس الإفريقية المستقلة»، التي باتت تعرف اختصاراً بـ OAIC، التي يقع مقرها الدولي في العاصمة الكينية نيروبي.

وكانت الأهداف الأصلية للمنظمة هي توفير منتدى لقادة AIC للزمالة ومشاركة مخاوفهم، سعت المنظمة أيضاً إلى إيجاد طرق لتوفير تعليم لاهوتي وكتابي أفضل لأعضائها، بما في ذلك الترويج لمدارس الأحد، وبالتالي؛ فإن منظمة الكنائس الإفريقية المستقلة هي تعبير مؤسسي عن حركة ورؤى وتطلعات AICs.

وعرّفت OAIC نفسها بأنها «الهيئة التمثيلية التي تجمع الكنائس الإفريقية المستقلة، وتوفر لهم منتدى لمشاركة مخاوفهم وآمالهم، وتمكن الكنائس من تلبية احتياجات أعضائها ومجتمعاتهم بفعالية».

وصاغت «رؤيتها» من خلال نداء موجه لشعب إفريقيا، متضمن «التحول ببشارة المسيح، المباركة بروح الله، والبناء على الثقافة الإفريقية، والسعي لتوفير العيش الوفير في مجتمعهم لأطفالهم والعالم».

وأكدت أن «مهمتها» هي «الجمع بين الكنائس الإفريقية المستقلة معاً في زمالة، وتجهيزها وتمكينها من التبشير ببشارة المسيح قولاً وفعلاً».

بالإضافة إلى «قيمها» التي عبرت عنها بـ«التضامن مع الفقراء والضعفاء، والإيمان بالله وإرشاد الروح القدس، والتقاليد والمعتقدات الإفريقية».

وتقرر OAIC أن رؤاها وقيمها تستند إلى القيم الإفريقية التي يتم التعبير عنها في أغانيهم وخطبهم وصلواتهم ورقصهم، وهي متجذرة في فلسفة إفريقية للحياة التي تكون فيها الرعاية والمعاملة بالمثل والقبول والانفتاح والمساواة قيماً أساسية.

وترى أن أتباعها مدعوون للاستجابة باقتناع للتحديات الماثلة في إفريقيا، مثل الفقر المترسخ، واعتلال الصحة، وانهيار النظم الثقافية والاجتماعية الإفريقية، وهي تتطلب من الجماعات أن تنظم نفسها من أجل مواجهة هذه العقبات[٢].

د) مؤتمر كنائس عموم إفريقيا AACC:

في وقت مبكر؛ وبعد تأسيس مجلس

(١) موقع مجلس الكنائس العالمي:
https://www-oikoumeneorg.translate.goog/regions/africa?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc

(٢) موقع منظمة OAIC على الإنترنت:
http://www.oaic.org/?page_id=51

الكنائس العالمي WCC، الذي ساهمت الحركة المسكونية بشكلٍ كبير في إنشائه عام ١٩٤٨م، ليصبح أكبر تجمع مسكوني في العالم، حتى الفاتيكان اضطرت لقبوله والتعامل، فدخلت فيه الكنيسة الكاثوليكية بصفة مراقب، وبعد ١٥ عاماً من تأسيس WCC، وبالتحديد في عام ١٩٦٣م، وهي الفترة التي نالت فيها العديد من الدول الإفريقية استقلالها، تأسست في إفريقيا منظمة مسكونية إقليمية ضمت العديد من الكنائس الإفريقية، وهي سابقة لتأسيس OAIC بـ ١٥ عاماً، أطلق عليها اسم «مؤتمر كنائس عموم إفريقيا» AACC، ونالت هذه المنظمة عضوية مجلس الكنائس العالمي، وأصبحت تمثل إقليم إفريقيا في مجلس الكنائس العالمي الذي يضم حالياً ٩٤ كنيسة، بإجمالي أعضاء يزيد عن ١٦٥ مليون مسيحي، بحسب تقاريره، ويوجد له تمثيل محلي في معظم البلدان الإفريقية.

وعلى مدى العقدين الماضيين؛ تم تشكيل أربع زمالات إقليمية للمجالس والكنائس، تغطي جنوب إفريقيا ومنطقة البحيرات الكبرى والقرن الإفريقي وغرب إفريقيا ووسط إفريقيا، هناك أيضاً تحالفات أو زمالات إنجيلية وطنية في معظم البلدان الإفريقية.

٥) العلاقة بين AACC و OAIC و WCC.. إعادة العجول الشاردة للحظيرة:

الكنائس الإفريقية المستقلة OAIC تعمل كمنظمة إقليمية واسعة الانتشار بين المسيحيين في إفريقيا، وعلى حد قولها تبلغ عضويتها حوالي ٦٠ مليون عضو، موزعين على عشرات الآلاف من الطوائف عبر إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وفي الشتات الإفريقي. وفي الوقت نفسه هي عضو في مؤتمر كنائس عموم إفريقيا AACC، حيث انضمت المنظمة لعضوية المؤتمر في العام ١٩٩٦م[١]، وهي بالتالي عضو في مجلس الكنائس العالمي، وذلك في إطار «المسكونية» العالمية.

وبمعنى آخر؛ فإن حركة التبشير العالمي استطاعت احتواء انشقاق كنائسها في إفريقيا، باستخدام المفاهيم المطاطة للحركة المسكونية والخمسينية، التي تدعو إلى إطار عقائدي رخو يسمح باستيعاب التناقضات من أجل التجميع ومد النفوذ.

ومن جهةٍ أخرى؛ أدى انتهاء الحقبة الاستعمارية المباشرة في الدول الإفريقية، وقيام حكومات وطنية على النمط الغربي، إلى نسيان سنوات النضال ومراراته، وجعل اهتمام تلك الحكومات منصباً على تحقيق النجاح السياسي بتقفٍّي أثر النموذج الغربي.. وانسحب ذلك على الكنسيين الأفارقة، الذين استغرقتهم مشكلات ما بعد الاستقلال، فخبت فيهم جذوة الكفاح من أجل انتزاع هوية دينية إفريقية.

وفي عصر التحول إلى منظمات؛ ظهرت أجندات عمل جديدة جعلت الكنائس الإفريقية المستقلة تمضي باتجاهها؛ مثل محاربة الفقر، والأمراض والأوبئة، ونشر التعليم الكنسي، وهي مشروعات بحاجة مستمرة إلى تمويل ضخم وكبير، وكان هذا هو الباب الذي دخلت منه حركة التبشير العالمي لإعادة عجولها الشاردة إلى الحظيرة.

ومن خلال التمويل، ومن خلال التكتلات

(١) المصدر السابق.

المسكونية العالمية، عادت الإرساليات الغربية تضع الأجندة من جديد لتوجيه الكنائس المستقلة باتجاه المصالح السياسية والاقتصادية الإمبريالية الغربية.

رابعاً: مستقبل الكنائس الإفريقية:

أ) اتجاه الكنائس العالمية نحو إفريقيا بعد انحسار المسيحية الغربية:

ترى الكنائس العالمية أن مستقبل الكنائس الإفريقية هو مستقبل المسيحية في العالم، حيث تشير التقارير الكنسية بوضوح إلى حقيقة التراجع المخيف للكنيسة في الغرب، في مقابل التمدد الكبير لها في دول العالم الثالث، وعلى وجه الخصوص في إفريقيا.

وتشير آخر الإحصائيات إلى أن إفريقيا هي موطن لـ ٢٧٪ من مسيحيي العالم، وهي أكبر نسبة في العالم، وبحلول عام ٢٠٥٠م من المرجح أن يصل هذا الرقم إلى ٣٩٪، وللمقارنة؛ كانت الولايات المتحدة وكندا موطناً لـ١١٪ فقط من جميع المسيحيين في العالم في عام ٢٠٢٠م، ومن المرجح أن تنخفض إلى ٨٪ بحلول عام ٢٠٥٠م.

علاوةً على ذلك؛ فإن متوسط عمر المسيحيين في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى هو ١٩ عاماً فقط[١]، ويرجع ذلك إلى أمرين: أحدهما الخصوبة العالية للإنجاب في إفريقيا؛ في مقابل ضعف شديد في الخصوبة في المجتمعات الغربية، ويرى فيليب جينكينز، أستاذ التاريخ بجامعة بايلور والمدير المشارك لبرنامج بايلور للدراسات التاريخية للدين في معهد دراسات الدين، أن هناك ارتباطاً بين معدلات الخصوبة في المجتمعات وبين درجة التدين، ويعزي انحسار الخصوبة في الغرب وانكماش السكان وشيخوخة المجتمع إلى ميل تلك المجتمعات إلى «العلمنة» وتدهور الإيمان بالمسيحية[٢]، ففي تلك المجتمعات، التي نشأت على المفاهيم العلمانية، يميل الناس إلى الفرار من الزواج والإنجاب، بسبب القوانين التي تضع ثقلاً كبيراً على الزوج لصالح زوجته وأبنائه، ويفضلون «المخادنة» واستعمال موانع الحمل التي تشجعها الدولة العلمانية، بينما تحتفي المجتمعات الإفريقية بالزواج، وبتعدد الزوجات، وتقدس المرأة زوجها وأسرتها.

والأمر الثاني هو العزوف عن اعتناق المسيحية في المجتمعات الغربية، حيث يقول الكاهن الكاثوليكيّ فرانز بريندل، رئيس الفرع الألماني لمنظمة الأديان من أجل السّلام: «غالباً ما أكون في الأبرشيات يوم الأحد بوصفي بديلاً، وأحياناً ما كنت أصغر شخص هناك تقريباً، وأنا عمري أكثر من ٧٠ عاماً، وهذا بالتّأكيد أمر محبط جدّاً بالنّسبة إليّ»[٣].

هذا ما دفع مجلس الكنائس العالمي، والفاتيكان، وكل المؤسسات الكنسية إلى تركيز جهودها التبشيرية في إفريقيا بالذات، وهذا يعني أن اهتماماً خاصاً سوف توليه تلك الدوائر للكنائس الإفريقية، سواء في OAIC أو في AACC، وستغدق الأموال عليها، ويتم دعم

(١) Beth Daley, Why the future of the world's largest religion is female – and African, March 23, 2022,https://theconversation.com/why-the-future-of-the-worlds-largest-religion-is-female-and-african-178358

(٢) PHILIP JENKINS, The Future of World Christianity Is African, AUGUST 7, 2020, www.thegospelcoalition.org/article/future-christianity-african

(٣) تيسا كلارا فالتر، الكنائس: تراجع في أوروبا وانتعاش في إفريقيا، دويتشه فيله، ترجمة: محمد الدخاخني، ٢٠١٩/٠٩/٠٧م، موقع حفريات: https://hafryat.com/ar/blog/%D8%A7%D9%

برامجها لتحقيق أهدافهم في تنصير القارة.

ب) السعي نحو التمدد في إفريقيا:

وبعد مضي أكثر من قرن على ميلاد حركة الكنائس الإفريقية المستقلة، وبروزها بوصفها وعاء للمسيحية الإفريقية، ما زالت تحافظ على نفس قوة تمددها في أصقاع إفريقيا.. يقول الأسقف ديفيد ماسوبا (٥٩ عاماً) رئيس الكنائس المستقلّة في زامبيا: «إنّ الإيمان بالتعاليم المسيحية ينتشر بوضوح في زامبيا»، ويقول: «كلّ شهر أتلقّى طلبات من ١٠ كنائس على الأقلّ تريد الانضمام إلينا».

وترى الكنائس الإفريقية المستقلة أن مستقبلها يكمن في الانتشار السريع، وزرع كنائس بطريقة الاستنساخ السريع، وتتبع في ذلك النموذج الأكثر شيوعاً هو «كنائس الخلايا والمنازل»، حيث تلتقي كنائس صغيرة، قابلة للنمو، تضم حوالي ١٠ إلى ٣٠ عضواً، في المنازل أو في واجهات المحلات، وتلعب دوراً هائلاً في نمو الكنيسة. غالباً ما ترتبط كنائس الخلية بشبكة منظمة، ولكن ليس هذا الحال دائماً (كنيسة الإنجيل الكامل Full Gospel Church في سيؤول هي أشهر مثال على ذلك، بوجود ٥٠٠٠٠ مجموعة)، عادةً ما تكون كنائس المنازل أكثر استقلالية[١].

ج) استغلال العمل الإنساني لقيادة المجتمعات الإفريقية:

وترى AICs أن مستقبل كنيستها يكمن في تركيز اهتمامها بقضايا المجتمعات الإفريقية، مثل قضايا التنمية والقضاء على الفقر، ونشر التعليم، والصحة، بجانب برامج تمكين المرأة، وفي هذا الإطار تحولت إلى منظمة طوعية منغمسة في العمل الإنساني، وتهتم بالارتباط الوثيق ببرامج التنمية للمنظمات السياسية الدولية والإقليمية، مثل الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة.

وتهدف AICs من خلال العمل الإنساني إلى الارتباط بقاعدة المجتمع وقيادتها؛ استناداً إلى ما تقدمه من خدمات في الصحة، والتعليم، ومحاربة الفقر.

د) الدور السياسي:

الرؤية المطروحة من قِبَل الكنائس الإفريقية والكنائس العالمية؛ هي البعد عن الدوائر السياسية. ولكن الكنائس، وبخاصة الإفريقية، لم تنفك يوماً عن ولوج السياسة بمداخل شتى، فمنذ فترة النضال ضد الاستعمار، وحتى دولة ما بعد الاستقلال، ظلت الكنائس الإفريقية تمثل حضوراً سياسياً مستمراً، وتتدخل في السياسة بشتى الطرق؛ من خلال نقد فشل حكومات ما بعد الاستعمار، ومن خلال مساندة الحركات المتمردة ضد السلطة في كثير من الدول الإفريقية، أو حتى التدخل في مسارات السلام.. وكلها محاولات لبسط نفوذها في الدوائر السياسية، وهي محاولات تزداد يوماً بعد يوم.. ويُنبئ ذلك بالدَّور الحاسم الذي سوف تتمتع به الكنيسة تجاه شؤون القارة، بما فيها الشؤون السياسية الأكثر حساسية، وقد يثير هذا النفوذ حفيظة الأديان الأخرى، ويمكن لذلك أن يخلق اصطداماً بين الأديان المختلفة في القارة، وتزداد الشروخات في بنية المجتمع الإفريقي[٢].

(١) جراهام جوزيف، إنهم في نمو وتزايد، إنهم يزدهرون، إنهم يصوغون مستقبل الكنيسة العالمية، Nov ٢٩، ٢٠١٨، على الرابط:
https://theglobalchurchproject.com/time-to-listen-/arabic

(٢) جوب، محمد بشير، الكنيسة المسيحية والسلطة السياسية في إفريقيا: الأدوار والنفوذ، مجلة قراءات إفريقية، السنة

خاتمة:

يمكن القول بأن التعامل الأهوج للمبشرين المسيحيين الأوائل مع الأفارقة دون فهم لطبيعة مجتمعاتهم وثقافاتهم المحلية، وبجانبٍ ارتباط أولئك المبشرين بالأجندة الاستعمارية، أدى إلى حدوث قطيعة بينهم وبين الأفارقة، وانسحبت تلك القطيعة حتى إلى أولئك الذين اعتنقوا المسيحية وانخرطوا في كنائسها، ودفعهم ذلك إلى اختيار جانب مجتمعاتهم المحلية، والانشقاق عن كنائسهم الأم بمسيحية إفريقية خاصة، وكانت حركة الكنائس الإفريقية المستقلة AICs نتاجاً لذلك الصراع، حيث وجدت ضالتها في مفاهيم الحركة الخمسينية التي انتشرت وسط مسيحيي العالم في تلك الفترة، ومثلت AICs إزعاجاً على مدى عقود لقيادات حركة التبشير العالمي.

وبعد تلك العقود من الهزيمة الداخلية لمشروع الإرساليات؛ وعت حركة التبشير بتكتلاتها العالمية الدرس الإفريقي، فلم تعد قضية الهوية الثقافية والطقوس المحلية تمثل هاجساً لها، بل سمحت في إطار المفاهيم «المسكونية» باستيعاب كل الطقوس المحلية الإفريقية، بما في ذلك تقديس أرواح الأسلاف، وتعدد الزوجات والمحظيات، بل حتى ادعاء النبوة والوساطة الروحية، وسُمي الوسطاء الروحيون الأفارقة «أنبياء» ممتلئين بـ«النعمة» و«الروح القدس».

ظهرت الحركة المسكونية، التي تدعو إلى توحيد الكنائس المسيحية تحت مظلة الاعتقاد بربوبية المسيح، وتجاوز الاختلافات العقائدية بين تلك الكنائس، وانتشرت في العالم بشكل خاص وسط البروتستانت والأرثوذكس، وأدت في نهاية المطاف إلى تكوين مجلس الكنائس العالمي WCC، الذي تولى قيادة حركة التبشير العالمي.

كما وجدت المسكونية قبولاً وسط المسيحيين الأفارقة، فتجمع على أساسها عدد كبير من الكنائس الإفريقية، بما فيها عدد كبير من كنائس AICs، وتشكلت جمعية مسكونية حملت اسم مؤتمر كنائس عموم إفريقيا AACC، وانضمت تلك الجمعية للحركة المسكونية العالمية ممثلة في مجلس الكنائس العالمي، لتصبح ممثله في إفريقيا.

وبعد عقد ونصف من تاريخ تأسيس AACC؛ أعادت AICs تجميع نفسها من جديد، وكونت لها منظمة إقليمية، بكيان مستقل، ولكنها حافظت على عضويتها داخل مجلس الكنائس العالمي ومنظمته الإقليمية في إفريقيا.

بهذا الوصف تكون رحلة الكنائس الإفريقية المستقلة، قد أكملت دائرتها، لتعود إلى حظيرة الكنيسة العالمية، ولكن بعد أن أسهمت، مع المسكونيين العالميين، في إحداث تغيير كبير في المفاهيم المسيحية، وساهمت في صناعة إطار رخو يجمع المعتقدين بألوهية المسيح، مهما كانت درجة التصادم بين عقائدهم، والهدف هو توحيد حركة التبشير العالمي، في وجه التحديات الماثلة أمامها، وأولها سرعة انتشار الإسلام، ليس في إفريقيا فحسب، بل في كل العالم ■

١٤، العدد ٣٨، ٣١ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٨م.